اترك أثرك

شذور نثرها

الشَيخُ أَحمَدُ الجَوهَرِيّ عَبد الجَوادِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاة على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم، أما بعد، فهل تجتهد أخي الكريم في ترك أثر صالح ينفعك الله به بعد وفاتك؟

إذا كانت الإجابة: نعم - وأظن كل عاقل يكون جوابه على هذا السؤال بنعم - فإليك هذه الشذرات التي أحسب أن كل عامل راغب في الخير بحاجة إليها لتساعده على تحقيق ذلك، أعانني الله وإياك على أن نكون ممن يترك أثرًا، ويبقي ذكرًا حسنًا، ويحصل بها حسنات، ويرتقي بها درجات.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

مثل المسلم كمثل المطر النافع:

- يقبل فيستبشر به الناس ويرجون من ورائه الخير.
- وينزل فينفع أعظم النفع.
- ويذهب فيترك جميل الأثر.

طوبى لمن كان كذلك، وطوبى لمن عمل على أن يكون كذلك.

من همة المؤمن:

- أن يسعى لملء وقته بالطاعات مدة حياته.
- وأن يؤسس لبقائها بعده تمده بالحسنات بعد وفاته.

كن مؤمنًا صاحب همة.

المسلمون ثلاثة:

١) مَن يحيا بيننا بشخصه وقد انقطع عمله وتوقف عداد حسناته أو يسير ببطء.

٢) ومَن يحيا بيننا بشخصه وعمله مستمر وعداد حسناته يسير بقوة فإذا مات توقف أو يسير ببطء.

٣) ومَن انتقل مِن بيننا بشخصه لكن عمله مستمر بشدة وعداد حسناته يسير بقوة.

هذا الأخير هو الذي قدم في حياته أعمالًا ممتدة الأثر تبقى بعده وحرص على أن تكون قويّة.

الأمر بحاجة إلى إعداد وتخطيط.

من ترك أثرًا يبقى بعد وفاته فكأنما عاش أعمارًا إلى عمره وكأنما هو حي وإن فنيت سنواته.

تدبرت القرآن فوجدت خليل الرحمن "**إبراهيم**" صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرص الناس على مسألة بقاء الأثر هذه: **{واجعل لي لسان صدق في الآخرين}، {ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك}، {يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون}**.

وقد حقق الله تعالى له أمله وأعطاه سؤاله، وها نحن أولاء نقول في كل صلاة: **"اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد"**.

فلا غرو أن كان الوحيد من بين الأنبياء الذين التقوا مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رحلة الإسراء والمعراج - وجميع الأنبياء قد التقوه -، فقال له: **يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر"**. لقد أحسست في هذه الكلمات أنه عليه السلام يتعهد أثره.

الحرص على أن يكون للمرء بعد وفاته أثر في الحياة يرفع درجاته ويزيد في حسناته سنة نبوية، ففي الحديث: **"إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوله"**، **"سبع يجري للعبد أجرهن بعد موته وهو في قبره: من علم علمًا، أو كرا نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفرله بعد موته"**. وهذا من أجمل الترغيب وأحسنه في ترك الأثر.

من أراد أن يخطط لما بعد وفاته ينبغي - قبل هذا - أن يكون مجتهدًا في حياته، لا يليق بالعاقل أن يترك ما هو في يديه لما هو غائب عنه.

لهذا كان من شروط **"ذي الأثر"** أن يكون من صاحب عناية واهتمام بحاله، صاحب همة وعزم على عمله، صاحب ثبات ورسوخ في أدائه، صاحب إنجاز وثمرة في أوقاته، صاحب حرقة على ما فات وشوق لما هو آت.

تتفاوت الأعمار في عدد السنين والشهور والأيام: هذا يعيش خمسين سنة وهذا يعيش أربعين وهذا يعيش ستين أو سبعين.

وهذا التفاوت يلحظه جميع الناس.

وتتفاوت تفاوتًا آخر هو أعظم، وذلك في قيمتها، حتى إن حياة منها قصيرة في عدد سنواتها وشهورها وأيامها تكون أفضل من حياة طويلة، لأنها كانت حياة ذات قيمة أنتج صاحبها الخير وأثمر المعروف، ونفع الناس.

وهذا التفاوت لا يلحظه إلا الندرة من الناس.

وهكذا يتبين لنا أن قدر الأعمار الحقيقي إنما هو بقيمتها وبقدر الأعمال النافعة المفيدة التي تعمرها.

ولهذا يحثنا الشرع الشريف على أن نملأ أعمارنا بالأعمال: {وقل اعملوا..}، وأن نحرص على أحسنها: {ليبلوكم أيكم أحسن عملًا}، ويرغبنا في أن يكون من بينها ما يبقي لنا الأثر الطيب بعد حياتنا ويعود علينا بزيادة الحسنات وكثرة الدرجات بعد رحيلنا.

من يتأمل حياة العظماء من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يدرك أنهم حرصوا على غرس أشجار الأعمال النافعة لينتفعوا بها هم ومن حولهم في حياتهم وينتفع بها الناس بعد رحيلهم. لم يرضوا أن تكون أعمارهم كسحابة صيف تنقشع سريعًا أو كظل كان ثم زال.

وجدير بمن أراد الله والدار الآخرة ممن يمضي على طريقهم أن يستن بسنتهم، فيعلق همته بعظيم الأجر وراجح الأعمال ومعالي الأمور ورفيع الدرجات.

ترك الأثر يحتاج إلى: نظر، وإعداد، وجهد، وإصرار، وحرص على المعينات وحذر من العقبات، ومن قبل ذاك توفيق من الله تعالى يستجلب بحسن طاعته والإلحاح في دعائه والتوسل إلى ذلك بكل سبيل مشروع. وهو أمر عظيم جليل يستحق ذلك كله.

لو لم يكن في الأمم من يطمح إلى **"ترك الأثر"** العظيم بعد وفاته لوجب على أفرادها أن يجتهدوا في إيجادهم بكل طريق ولا يدخروا في ذلك أي وسع، فإنهم روحها التي تحفظ حياتها وهم قدواتها وهم صناع كرامتها وهم بناة مجدها وعزتها وهم أسباب عظمتها وسيادتها وهم مشاريع نهضتها وحضارتها.

ولهذا وجب أن تعتني أمتنا بإذاعة هذه الثقافة العظيمة، والمساعدة على شيوعها، وصناعة البيئة المناسبة لها، وينبغي أن نعلم أن ذلك مطلوب في كل جيل من الأجيال وكل مكان من الأماكن، فإن بهؤلاء مستقبلنا كما أن حاضرنا بمن ترك الأثر العظيم من أجدادنا وآبائنا في ماضينا.

رغبنا القرآن الكريم في **"ترك الأثر"** بطرق كثيرة، فقال في امتنانه على جملة الأنبياء عقب ذكر كل واحد منهم: **{وتركنا عليه في الآخرين}** أي: وتركنا عليه ثناء حسنًا فيمن بعده، **{إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار}** أي لتخلص لهم بالثناء الحسن عليهم، **{وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا}**، وقال عنهم وعن أتباعهم: **{ونكتب ما قدموا و آثارهم}.**

وحري بمن يقرأ هذه الآيات ويتدبرها أن تلهب عزمه ليمضي على طريقهم بجد واجتهاد.

ورغبتنا السنة في **"ترك الأثر"** في أحاديث عديدة، قد تقدم معنا بعضها.

ومنها: قوله ﷺ: **"من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء"**.

وقوله ﷺ: **"من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"**.

وقوله ﷺ: **"تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم؛ فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"**، وفي رواية: **"تعلموا من أنسابكم ما تصلون أرحامكم فإن صلة الرحم منسأة في الأثر مثراة للمال"**.

ومن معاني **"منسأة في الأثر"**: سبب في بقاء الذكر الجميل بعده يبقيه الله في الدنيا طويلًا.

الآثار التي يمكن أن يتركها الإنسان - من حيث المادة والمعنى - نوعان، منها ما هو **مادي**، مثل: بناء المساجد ودور العلم، ومنها ما هو **معنوي**، مثل: الدعوة ونشر العلم.

وهي نوعان - كذلك - من حيث وقت البدء بها: منها ما يبدأه الإنسان في حياته، ومنها ما يوصي به ليبدأ بعد وفاته، والأول أكثر وهو أبقى وأعظم؛ ليقوم عليه بنفسه ويرعاه ويحوطه ويعتني به فيقوى ويشتد ويرسخ ويستد.

وتوفيق المرء إلى هذا وهذا هو من توفيق الله وتقديره الحسن له.

والموفق - كل الموفق - من جمع الله له بين النية الحسنة الخالصة والعمل العظيم فينتج عن ذلك بلا شك أثر جليل.

"اترك أثرك" من أجل أن تفيد نفسك، وتكون قدوة لمن حولك، وتنفع أنت - وهم - أمتك، وتفيد دينك، وتظفر بأعالي الجنان، وتفوز برضا الرحمن.

من أراد أن يترك الأثر الحسن من بعده فليجتهد في النية الخالصة عن طريق العلم، والعمل الجاد الدءوب عن طريق السعي والهمة، ويحدد الهدف المناسب عن طريق التعرف على الثغرات والقدرات، ويأخذ بالأسباب اللازمة له عن طريق أهل الذكر فيها.

وليعمل على هذه الأمور بقوة، ويتجنب العوائق: الشخصية كالكسل والترف واليأس وغيرها، والمجتمعية كالفساد والتضييق.

وقد قدم سعادة **الدكتور محمد موسى الشريف** - حفظه الله تعالى - دراسة مفصلة لتلك الأركان وهذه العوائق وعلاجها في كتابه القيم: **"أثر المرء في دنياه"**، الذي كتبت هذه الذرات أثناء مطالعته.

والحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه.